الفرق بين اللعب والعمل

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافى
أستاذ التربية بدار العلوم العليا ، والأخلاق بالأزهر
وتاريخ الأدب المسرحى بقاعة المحاضرات

كل ما يصدر عن الكائن الحى من الحركات الارادية ـ جسميها ونفسيها ـ لا يخرج عن كونه لعباً أو عملا ، وقد زودنا العرف وشعورنا الطبيعى بما نستطيع به التمييز عمليا بين هذين النوعين من الحركات ؛ فقلما عجز واحد منا عن الحكم على الحالة المتلبس بها هو ، أو المتلبس بها غيره من حيث إنها حالة لعبية أو عملية ، ولكنه من الصعب الاهتداء إلى الفروق التى تميزها نظرياً والعثور على الصفات الخاصة بكل منهما .

يزعم بعضهم أنهما يختلفان بالحالة النفسية التى تصحب كلا منهما ؛ فاللعب مصحوب بلذة وسرور ، على حين أن العمل يؤدى بملل وضجر ؛ ولكن هذه النظرية ليست صحيحة من جميع وجوهها . حقاً إن كل الألعاب يصحبها السرور واللذة ، وإن كثيراً من الأعمال يشعر مؤدوها بالملل والضجر ؛ ولكننا نجد أن طائفة كبيرة من الأعمال يشعر أصحابها أثناء أدائها بسرور يكاد لا يقل عن السرور الذى يشعر به اللاعب أثناء لعبه ؛ فالفنان العاشق لفنه ، والعالم المغرم بالبحث والتنقيب ، يجدان فى أعمالها خير وسيلة للابتهاج والهناءة ؛ فالأخذ بهذه النظرية يدع أنواعاً كثيرة من الأعمال تدخل فى دائرة الألعاب .

ويدعى بعضهم أن الفارق هو المجهود ؛ فاللعب لا يتطلب مجهوداً ، أما العمل فبذل المجهود فيه ضربة لازب ؛ وهذه النظرية ـ كسابقتها ـ ليست مصيبة كل الاصابة . حقاً إن كل الأعمال تتطلب المجهود ، وإن بعض الألعاب (ألعاب الحواس مثلا (١)) تكاد تكون مجردة منه ،

(١) أتى الاطفال ـ وخاصة فى الدور الاول من طفولتهم ـ بأمور لعبية الغرض منها مجرد الاحساس بالذ... تراهم يضعون على ألسنتهم كل ما يصل الى أيديهم ليتذوقوا طعمه ، ويقذفون هنا وهم على الارض ، أو يد... بهم أو يقرعون بعضها ببعض ... ليسمعوا ما تحدثه من الاصوات ، ويحدقون فى الكرات ذات الا... ثلة ليروا بريقها ، وتعبث أناملهم بالاشياء ليدركوا ملمسها وما فيها من خشونة أو نعومة ... الخ . وقد سمى المربون هذه الطائفة من الالعاب بـ « ألعاب الحواس » ، لان الطفل قد زود بالاتجاه نحوها لتدرب حواسه على القيام بوظائفها العامة .

ولكن معظم أنواع الألعاب تتطلب مجهوداً لا يقل عن المجهود الذى تتطلبه الأعمال، وبعضها يضطر اللاعب إلى أن يبذل فيه من المجهود ما لا يتطلب بذل مثله عمل ما . فالمجهود العقلى الذى يقوم به لاعب الشطرنج ـ مثلاً ـ لا يذكر بجانبه أى مجهود تحتاج إليه أعمالنا العقلية، والمجهود الجسمى الذى يؤديه لاعبو كرة القدم ـ مثلاً ـ قلما يحتاج لأداء مثله عمل جسمى آخر ؛ ولقد صدق (سيشور) حيث قال ـ مبيناً خطأ هذه النظرية ـ: « قلما تضطرنا أعمالنا إلا إلى المشى، على حين أن معظم ألعابنا تحتم علينا العدو » . فالاعتماد على هـذه النظرية يؤدى إلى أن نعد معظم أنواع الألعاب أعمالا .

وقد رأى كثير من العلماء أن القيمة الاقتصادية أصدق فارق بين اللعب والعمـل . كل عمل من شأنه أن ينتج قيمة اقتصادية ؛ أما الألعاب فليس منها ما يؤتى هذه الثمرة ؛ ولسـنا فى حاجة إلى الاطناب فى بيان خطأ هذا الرأى ، إذ لا يخفى أن طائفة كبيرة من الأعمال لا تنتج أية قيمة اقتصادية . ما القيمة الاقتصادية لمعظم ما يقوم به الطلبة من أعمال مدرسية مثلا ؟(١) على أن طائفة كبيرة من الألعاب من شأنها أن تنتج تلك القيمة، مثل (ألعاب الصيد ، وألعاب الرسم ، وألعاب البناء ... الخ) . فالنظرية التى نحن بصدد الكلام فيها تدع طائفة من الألعاب تدخل فى الأعمال ، وبعض أنواع عملية تدخل فى دائرة الألعاب .

ويحاول بعضهم التفرقة بينهما بالاجبار والاختيار : عماد اللعب الاختيار ، فالشخص يزاوله مختاراً لا مكرها أو مجبراً ؛ أما العمل فعماده الالزام والارغام ؛ وليست هذه النظرية بأصدق قيلا من النظريات السابقة ، فان معظم ما نقوم به من الأعمال نؤديه بمحض الاختيار والرغبة .

فما الفرق إذن بين اللعب والعمل ، ذلك الفرق الذى يخيل لكل منـا أنه من الوضوح بمكان ، فاذا ما حاول تحديده يكاد لا يجد إلى ذلك سبيلا ؟

لم يبق علينا إلا أن نختبر ما يصح أن نسميه « نظرية الغاية » ، التى يرى قائلوها أن الفرق بين اللعب والعمل ينحصر فى أن الأول غايته فيه ، أما الثانى فله غاية خارجة عنـه . يؤدى العامل ما يقوم به من الحركات الجسمية والنفسية ، لا لمجرد أداء هذه الحركات ، بل للوصول من ورائها إلى غاية أخرى جعلها نصب عينيه . فما يقوم به النجار أو المدرس أو ساعى البريد أو الشرطى من الحركات الجسمية والنفسية ليس مقصوداً لذاته ، وإنما يبغى مؤديه من ورائه كسب العيش ، أو تزويد التلاميذ بالمعلومات ، أو إيصال الرسائل إلى أهلها ، أو تنظيم حركة السير فى الميادين واستتباب الأمن ... الخ ؛ على حين أن الطفل عند ما يقلد فى لعبه النجار أو

(١) لا يقال ان هذه الاعمال قيمة اقتصادية آجلة وغير مباشرة ! فاننا لو أخذنا بهذا لوجب حسبان كل الالعاب من الامور ذات القيمة الاقتصادية (اذ اللعب ـ كما رأيت فى نظرية الاعداد للحياة المستقبلة (انظر عدد يوليو سنة ١٩٣٢ من « المعرفة » ص٣٢٣ وتوابعها) ـ يعد الطفل للحياة المستقبلة بجميع فروعها).

المدرس أو ساعي البريد أو الشرطي لا يقصد بما يقوم به إلا مجرد أداء هذه الحركات التقليدية إذ ليس ثمة مائدة حقيقية يريد إتمام صنعها ، أو تلاميذ حقيقيون يحاول إفهامهم ، أو خطاب جدي يريد إيصاله إلى صاحبه ، أو أمر حقيقي يبغي القبض عليه ؛ فغاية لعبه هي اللعب نفسه لا أمر خارج عنه .

وعلى الرغم من ارتضاء كثير من مؤلفي التربية لهذه النظرية ، فإني أرى عدم صحتها على الوجه الذي سبق تقريره . — حقاً إن بعض أنواع الألعاب لا يقصد من ورائه الوصول إلى غاية ما ؛ ولكن هذه الألعاب قليلة جداً ، ولا نكاد نعثر على أمثلة منها إلا في أول أطوار الطفولة ، مثل (ألعاب الحواس مثلا : يذوق الطفل لمجرد الذوق ، ويسمع لمجرد السمع ، وينظر لمجرد النظر . . . الخ) ، فإذا استثنينا هذه الألعاب القليلة وجدنا أن كل ماعداها يقصد منه الوصول إلى غاية معينة خارجة عن اللعب نفسه ؛ فألعاب الكرة ، والشطرنج ، والنرد ، والمصارعة ، يقصد منها التغلب على خصمه ؛ وألعاب « البحث والاختفاء » ، يقصد منها العثور على المختفين ؛ وألعاب الصيد ، الحصول على الحشرات ، أو على الطيور أو على بيضها ؛ وألعاب الأحاجي ، الاهتداء إلى حل لغز عقلي ؛ و « الألعاب السؤالية [1] » ، الاهتداء إلى معرفة حقائق الأشياء وهلم جرا . — على أن تحليلا دقيقا لما يقوم به الطفل حينما يقلد في لعبه : النجار ، أو المدرس ، أو ساعي البريد ، أو الشرطي ، لا يدل دلالة واضحة على أنه لا يبغي من وراء ذلك أداء الحركات اللعبية فحسب ، كما يدعي قائلو هذه النظرية ، بل الوصول إلى تشكيل قطعة من الخشب بشكل يعتبره خياله مائدة ، أو إلى تفهيم زملائه — الذين اصطلح على أن يكونوا تلاميذه — أموراً يعدها بمثابة الدرس ، أو إلى إيصال ورقة تمثل الخطاب إلى طفل يمثل المرسل إليه ، أو إلى القبض على أحد زملائه الذين قضت نظم اللعب عليه أن يمثل دور المجرمين ... وما إلى ذلك .

فمعظم الألعاب لها غايات خارجة عنها ، كما أن للأعمال مقاصدها التالية لها ؛ غير أننا إذا أنعمنا النظر في غايات الألعاب تبين لنا أنها تختلف اختلافا كبيراً عن غايات الأعمال ، فالغاية في العمل غاية حقيقية مقصودة لذاتها ؛ والوصول إليها هو أهم ما يرمي إليه العامل بأعماله ، أما اللاعب فاهتمامه بألعابه لذاتها أكبر من اهتمامه بها للوصول إلى الغاية الخارجة عنها — إن كانت ثمة غاية — ولبيان ذلك نضرب الأمثلة الآتية :

١ — يقلد الطفل في لعبه ساعي البريد ، فيبدو لنا أن غايته إيصال ورقة تمثل خطابا إلى زميل له يمثل المرسل إليه ، ولكننا إذا حللنا نفسيته تحليلا دقيقا تبين لنا أن تلك الغاية

(١) يقصد بها الاسئلة التي يلقيها الاطفال على الكبار ، لمعرفة مهايا ما يحيط بهم من الامور المادية والمعنوية ، والتي يكلفون بها السكلف كله ، ويخصصون لها أكبر قسط من مظاهر نشاطهم اللعبي في بعض أطوار طفولتهم (سمى الاستاذ « جس سلي » هذه الاطوار بـ « الاطوار السائلة » .

المصطنعة ليس لها فى نظره إلا أهمية ثانوية لم يجعلها نصب عينيه إلا ليشجعه ذلك على اللعب (فان الطبيعة الانسانية تأبى القيام بعمل لا غاية من ورائه) ، وأن المقصود بالذات لديه إنما هو مجرد أداء الحركات اللعبية التى يقلد بها ما يعمله ساعى البريد، بخلاف ساعى البريد الحقيقى، فان إيصال الرسائل إلى أهلها هو أهم ما يعنيه من أعماله ؛ فالغاية فى مثل هذا اللعب هى إلى الوسيلة أقرب منها إلى الغاية ؛ وفى هـذا الصنف من الألعاب يصح أن تقول : « لا يلعب الطفل للوصول إلى غاية جعلها نصب عينيه، بل إنه لم يجعل هذه الغاية نصب عينيه إلا ليلعب » .

٢ — يلعب الطفل « ألعاب الصيد » فيخيل إلينا أن أهم ما يعنيه الحصول على الحشرة التى يتتبعها ، أو على العصفور الذى يعدو وراءه ، ولـكننا إذا أنعمنا النظر ظهر لنا أن هذه الغاية — على الرغم من أهميتها فى نظره — أقل أهمية لديه من الوسائل نفسها ، أى من الحركات الجسمية والنفسية التى يؤديها محاكيا أعمال الصيادين ؛ ولا أدل على ذلك من أنه قد يخطر بفكره — أثناء متابعته الحشرة، أو العصفور — نوع آخر من اللعب فينصرف إليه دون أن يعد نفسه مخفقا فى مشروعه ، بخـلاف محترف الصيد فان أكبر ما يهمه هو الحصول على قنيص لطعامه ، أو للانتفاع بثمنه . — يلقى الطفل فى « عمره السائل (١) » سؤالا على أحد أبويه فيبدو لنا أن أهم غاية لديه هى معرفة الحقيقة التى يسأل عنها ، ولـكننا إذا تأملنا مليا ، أيقنا أن هذه المعرفة — على الرغم من أهميتها فى نظره — أقل أهميـة لديه من إلقاء السؤال نفسه ، ولا أدل على ذلك من أنه كثيراً ما يشتغل بصنف آخر من اللعب أو يلقى على المجيب سؤالا آخر ، قبل أن يتم له إجابته على السؤال الأول، دون أن ينقص تصرفه هذا من سروره اللعبى شروى نقير ، بخلاف التلميذ الذى يلقى على أستاذه سؤالا ، فان جل ما يهمه فهم المسألة التى يجهلها .

مما تقدم يمكننا أن نلخص الفرق بين اللعب والعمل فيما يلى :

يهم العامل فى أعماله الوصول إلى غاية خارجة عنها أكثر مما يهمه أداؤها لذاتها ، (قـد لا يهمه بتاتا أداؤها لذاتها، وقد يهمه أهمية ثانوية، وقد يهمه أهمية أساسية أقل مما تهمه الغاية).

أما اللاعب فيهمه فى ألعابه أداؤها لذاتها أكثر مما يهمه أداؤها للوصول إلى غاية خارجة عنها ؛ (قد لا يكون للعب أية غاية خارجـة عنه ، وذلك كألعاب الحواس المتقدم ذكرها ، وقد تكون له غاية ثانوية الأهمية ، وذلك كألعاب من يحاكى ساعى البريد ، وقد تـكون له غاية أساسـية الأهمية ، ولـكنها لا تصل فى قوتها إلى درجة أهمية اللعب لذاته ، وذلك كألعاب الصيد و « الألعاب السؤالية » وهلم جرا) .

على عبد الواحد وافى
دكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) انظر معنى هذه الكلمة فى التعليق السابق .